

إدغار موران: نحو علم الأزمات - دراسة تأسيسية -

Edgar Morin : towards a science of crises - a foundational study-

قوجيل خالد¹، باجي أحمد²

¹ جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر)، khaled.goudjil@ummto.dz

² جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر)، Ahmed.badji@ummto.dz

مخبر مجتمع- تربية- عمل

Goudjil Khaled^{1*}, Badji Ahmed²

¹ University of Tizi Ouzou (Algeria) & ²University of Tizi Ouzou (Algeria)

تاريخ النشر: 2023/07/30

تاريخ القبول: 2023/05/24

تاريخ الاستلام: 2023/01/22

ملخص:

يعكف هذا المقال إلى توضيح اجتهاد موران في تأسيس علم جديد، رغم صعوبة ذلك في الوقت الراهن بيد أن موران رفع التحدي وغاص في الأنظمة المعرفية واستخلص جملة مشاكل تعترضها، لعل أبرزها الإضطراب واللايقين اللذان شقا المعرفة وساهما في انكماشها، هذا الإستكشاف الذي قدمه صاغه لتوضيح أسباب ولوج هذه الأنظمة المعرفية في ما يسمى: الأزمة.

إن رفع الوشاح عن مسببات الإضطراب يستوجب دراسة متأنية، قام موران بإرساء هذا العلم بتوضيح المفهوم ، وقدم مكوناته ووضح كيف تتغلغل في الأنظمة المعرفية بشكل دقيق، مسببة إضطراب هذه الأنظمة وقدمنا الحداثة والديمقراطية والإنسانية كنماذج لتوضيح هذا التسرب، وأوضح موران أن إمكانية تبلور علم الأزمات قائمة لتضطلع بعملية إصلاح المنظومات المعرفية المتكدسة باللايقين

الكلمات المفتاحية: الإضطراب، الأزمة، اللا يقين، الأنظمة المعرفية، علم الأزمات

Abstract:

This article aims to study morin's attempt to establish a new science, despite the difficulty of it in contemporary times, Morin raised the challenge and studied the système of knowledge and their experienced problems, one of the most important propleme was the turbluncee and uncertainty that divided knowledge, this discovers Morin formulate it to illustrate the causes of this système in crisis.

Reveating the causes of disorder requires a careful study, Morin presented this science by clarifying the concept, and presenting its components by explaining how it penetrates with precision the knowledge système and causing the disruption of this science, we presented modernity, democracy and humanity as models to illustrate this

* المؤلف المرسل.

penetration, Morin explained that the possibility of crisis science exists to undertake reperation of the knowledge Système accumulated and incertude

Keywords : crisis, disruption, incertude, the knowledge système, the Science of crisis.

مقدمة:

— ما معنى أن نؤسس لعلم جديد اليوم؟ هذا السعي الحثيث الذي قدّمه موران لتأطير هذا في القرن العشرين، وبذلك عكف على افتتاحه منذ سبعينات القرن المنصرم وولج في محاكاة غير محمودة، كيف نؤسس لعلم جديد وهو من يدعو إلى لم شمل العلوم؟ ونحن في حقبة العلوم التي أضمر فيها الإنسان، وهو من كان على قمة هرم البحث عبر الأعصار، كيف نؤسس لعلم الأزمة؟ وهذا المفهوم يحترفه العام والخاص ويطلق بشكل شامل في وسائل الإعلام والسياسة والإقتصاد، غرضنا نحن هو البحث في هذا الرهان الفلسفي الذي استوحاه موران في متونه، فالإستعمال المفرط لهذا المصطلح بدل مفاهيم أخرى أودت بنا إلى المماهة بين المفاهيم، هذا ما سعى لتبيان مرامه وتوضيح مفهوم الأزمة حتى لا ننزلق في استشكال المفاهيم التي عبر عنها جيل دولوز أنها لب وجوهر الفلسفة، وتحديد ماهية واضحة لهذا المفهوم حسب، من أجل ذلك نجد أن نصوص موران تفهم من خلال الإنتصار الذي حققته العلمانية وظهور علوم كانت السند له في عملية توجيهه الفكري ونقطة انطلاق لكل استشكال له، يتوجب أن نأخذ بمحمل الجد التطورات التقنية الصارمة في القرن العشرين، وبذلك تبلورت علوما جديدة كنظرية النظم والسيرنطيقا تساعدنا في استيضاح ملامح العصر، وكذا اتكائه على النتائج المبهرة لفيزياء الكم والنسبية والديناميكا الحرارية، تعبر ضرورة عن رهان إدغار موران لأفق معرفي جديد يتكأ على ما سبق، إن التوظيفات المتعددة لمفهوم الأزمة تزيد من غموض هذا المفهوم، إنطلق موران من معاناة هذا المصطلح وإخضاعه للمساءلة، محلا عناصره ومفككا لها، عمد موران إلى العودة للأصل اليوناني لهذا المفهوم الذي إنبثق ليعبر عن فحص طبي وتحديد للمرض، وهذا النمط من العودة ليس خبط عشواء بل يعتمد لتخريج دلالة جديدة لهذا المفهوم، إنه لمن كان موران قد استعمل نفس الدلالة وحافظ على المفهوم إلا أن السياق اللغوي والثقافي اختلف فعدا واقع المصطلح مختلف، فمكمن هذا الاختلاف يبدو جليا أنه ظهر بفعل التطور العلمي فأصبح الواقع لهذا المصطلح قضوي معادلتها كما يلي: كلما تطور العلم والتقنية اختلف معنى أي مصطلح ومفهوم، وكون الأزمة غدت سمة بارزة للعصر من جهة أنها تشخيص حقيقي للكثير من المسائل الراهنة، وبهذا التنبيه المعرفي سنتطرق لاستكشاف البنى العامة للمفهوم وكيف تتأسس وكيف يمكننا تأييدها لتعبر عن معنى الثقافة الراهنة.

—إن المعادلة التي إشتغلنا عليها تنطبق على مفهوم الأزمة، فاشتغاله على هذا المفهوم أتاح له رؤية واضحة لتحديد لها وتيسير عملية مساءلته حتى تتضح معالمه أكثر، بهذا يدعونا ليس فقط إلى معرفة دلالته الحقيقية، بل لتأسيس ثقافة أزمة تعبر عن مجالنا المعرفي والثقافي، وحاول تدبير أطر معرفية واضحة المعالم تشتغل عليها لتعبر عن حالة العلم وتلم شمل العلوم التقنية والإنسانية وتأسيس علم ثالث بينهما، من هذا المسعى الذي اشتغل على هذين متوازيين الأول تطور العلوم المفرط الذي غار على الإنسان؛ والثاني إستمولوجية التبسيط التي تشوب المعرفة مؤسسة علل في المعرفة والفهم، إن هذه العوامل أرساها موران لتأسيس علم للأزمات يستصيع من خلالها معنى للأزمة بشكل أكثر دقة واستعاب، خاصة أننا لا ننفك من أزمة إلّا وولجنا في أزمة أخرى، فكيف صاغ إدغار موران نظرية عامة حول الأزمة تكون لها القدرة على توضيح معالم الحياة أكثر؟ هذا الإشكال الذي استنبطناه من متون موران كمحاولة لتحديد مراد موران من محاولته لتأسيس هذا العلم الجديد مستعينين بهذه النصوص لفتح الموضوع أكثر.

1- شروط إمكان تأسيس ماهية للأزمة بوصفها تعبيراً راهنياً:

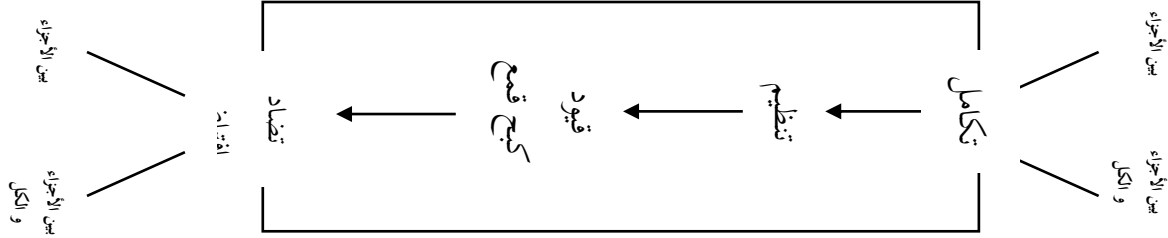
1-1 مفهوم الأزمة: من أجل إيضاح ماهية للأزمة يستوجب الكشف عنها في سياقها التاريخي، والمتصفح لأي سياق تاريخي سيجد بلا مواربة أن موران لم يكن أول من اهتم بتأثير الأزمة، وما يجدر علينا التنبيه عليه هو حضور هذا المفهوم في الفكر المعاصر سواء تعبيراً فكرياً أو صياغة معرفية، في كتابه المشترك مع كارلو بوردوني " حالة الأزمة سنة 2014" تطرق زيجمونت باومان لأخطر المشكلات التي تواجه زمننا المتغير " السائل " وعرف بوردوني الأزمة " مشتقة من الكلمة اليونانية kirios " وهي تعني الحكم على الأمور ونتيجة المحاكمة ونقطة التحول والانتقاء والاختيار، وتعني أيضاً الخلاف، الشجار كما يرى أفلاطون، إنها مقياس يشتق منها المعيار ووسيلة الحكم على الأمور كما تعني القدرة على الاستنباط وهي عنصر مهم ومناسب للحكم وفاضل فارق ولائق لفن الحكم على الأمور، يبدأ أن باومان يرى أن فكرة الأزمة تنحدر اليوم إلى العودة لجذورها الطبية حيث ظهر هذا المصطلح ليشير إلى لحظة يكون فيها مستقبل المريض في يد قدر مجهول حيث يحدد الطبيب التشخيص والعلاج اللازم لمساعدة المريض على التعافي التدريجي (بوردوني، 2014، الصفحات 9-15) ويبدو أن كتاب موران في مفهوم الأزمة قد ينير لنا الخيط الذي سيفتح لنا السبيل لمسائلة الحداثة دون مشاحة، وعلينا الإشارة أن موران أوضح أن لفظة الأزمة عمت، وأقامت علاقة متوعدة بين الواقع المعيش ومفهوم الاضطراب في القرن العشرين، كما وحذر من هذا التعميم الذي طال اللفظ ما كشف عن انحصار المعنى وحاول الظفر بطرح وجهه للمفهوم، ونبتة من جانب آخر إلى فرضية لما كانت الأزمة تقتصر على المجال الاقتصادي كان من اليسير تبيانها عياناً من بعض الصفات الكمية القابلة للإكتشاف، رب افتراض وجه الخطورة فيه أن كون الأزمة هي اضطرابات كمية يجعل كل الاقتصاد حالة أزمة، ويشير موران " الأزمة في أصلها اليوناني تعني القرار وهو اللحظة الحاسمة التي تتيح خلال تطور عملية غير مؤكدة تنفيذ تشخيص، في حين تعني الأزمة اليوم التردد وهي اللحظة التي يظهر فيها غياب اليقين بالتزامن مع اضطراب ما " (موران، 2018، الصفحات 29-30) يقر موران على شاكلة أرسطو أن الإنسان حيوان أزمي فاعتبار الأزمة تنامي الفوضى وغياب اليقين ضمن نظام ما، يحقق تجسيد الآلية التنظيمية وألية الضبط على وجه الخصوص أو كما يسميها " الإرتجاعات السلبية "، ويقر موران أن الفوضى يتحدد عنها تصلّبات في النظام بيد أن ذاك يفتح إمكانات كانت مكبوتة بتعبيره من جهة أخرى، فتتطور الأخيرة بصفة جامعة، بينما تتحول الاختلافات إلى تعارض والتكاملات إلى تضاد، لكن الآلة البالغة التعقيد، الدماغ تضطلع بمهامها بصفة عادية على حافة الأزمة " بمعنى أنها تعمل مع الفوضى وعلى حافة الفوضى وأن وسائل التحكم لديها أو جهازاتها يمكن أن تتعرض للتجميد بسبب اضطرابات خارجية وداخلية كما لا تظهر مقاومة كبيرة للجموح النفسي العاطفي، وأخيراً الآلة البالغة التعقيد كثيراً ما توجد في مواجهة مأزق مزدوجة، ما يعني مواجهة أوامر متناقضة ومتساوية القوة أو مواجهة خيارات تكون شروطها بالتساوي مدعاة قبول أو نفور ". (موران، 2018، صفحة 26) يعترف موران أنه يمكن حل الأزمة بالعودة إلى الوضع السابق لها لكن جوهر الأزمة حسب موران تستمد متانتها من خلال تأسيس حلول جديدة متينة والانغماس فيها والانشغال على حلها بشكل أكثر جدة في معنى تقييده بالحساب والتخطيط لأن معنى الأزمة تسمح بالقول بأن شيئاً ما ليس على ما يرام، وتحيلنا لفجوة مزدوجة، فجوة في المعرفة التي ندير بها، وفجوة في الشأن الاجتماعي نفسه، والنتيجة التي يخرج بها موران هي الغوص في عملية التأزم حتى نتمكن من تأزم مفهوم الأزمة.

2-1 المقامات الأساسية المؤسسة للأزمة والمؤثرة للمفهوم: من أجل فهم أي مفهوم لن يتم إلا بجملة مقاماته، عبّر موران عن مستويات مبدئية حتى نسبح في التيار الصحيح للمفهوم ليتقوّم، ولعل هذه المقامات تعبّر عن أصالة موران

في تأييد الأزمة عبر هذه المبادئ الثاوية فيها والتي يسعسر الإحاطة بجوهر المفهوم دون إلمام كافي بها ولعلنا يمكن صياغتها على النحو التالي :

1-2-1 المبدأ اللاتنظيمي للتنظيم: إن قصد موران التنويه بمستوى النظم الخاص بكل نظام؛ نفهم مقصد موران بأن النظام هو دراسة وتحليل الطرق التي تعمل بها الطبيعة والكائنات الحية للاستفادة من هذه الطرق في تطبيقاتها على

الآلات ذاتية الحركة، وكل العلاقات المتبادلة بين عناصر، أشياء، كائنات، فالنظام يستدعي بالضرورة فكرة التضاد "كل علاقات متبادلة بين عناصر، أشياء، كائنات، تفترض وجود إمكانات ارتباط ولعبة تجاذبات وانسجومات، لكن لو انعدمت أي قوة إقصاء وتنافر وتفكيك فإن كل شيء كان ليتجمع في جو من الارتباك ولا يمكن تصور أي نظام حينئذ" (موران، 2018، صفحة 34) انطلاقاً من معاينة النظام بوصفه متقوماً، نخلص أن النظام يستدعي عناصر الإقصاء، ففراءة النظام وفق مسألة التضاد يسمح لنا بتصوره على شكل أفضل، ولعل الخطاطة التي قدمها في كتابه توضح التصور النظري لذلك، ويمكن ارتسامها على الشكل التالي:



والرهان الذي حرك موران هو تقني سيراني والمتصفح لكتاب في مفهوم الأزمة يلفت نظره انشغاله على فكرة النظام "الآلة الخلية المجتمع" حيث التضاد حتى لو كان يتعارض مع الضبط والتحكم ويسهم في تفكك النظام إلى أنه يحافظ على استقراره وانتظامه، ولعل التمثيل الجدير بتحقيق هذه الفرضية يمكن اقتباسها من الطبيعة وافتراض الضواري للمفترسات فيفسهم في تفكك النظام وانتظامه أيضاً.

1-2-2: التضاد التنظيمي المضاد لفعل التنظيم: إن أصالة التخريج الموراني لمسألة التضاد نابع من الفهم الدقيق للقانون الثاني للديناميكا الحرارية فموران، لم يأخذ فجأة استعمال هذا القانون بل استخلص خطة تحدد معالم الأزمة، ونحن نستبصر في إيضاحه فكرة التضاد بحيث لا نظام إلا بالتضاد، بيد أن التضاد كصيغة الطاقة الميكانيكية يحمل احتمال خراب وتفكك النظام في تحولها لطاقة حرارية، ونحن نستبصر هذا التأثير لموران بقانون الديناميكا الحرارية، ولمواجهة هذا التفكك أقر ما يلي: " 1- دمج استخدامات التصادات ما أمكن وبطريقة تنظيمية 2- تحديد الطاقة والتنظيم وذلك بالاستمداد من المحيط (نظام مفتوح) 3- التمكن من التعدد ذاتياً بشكل يجعل معدل التكاثر يتجاوز معدل التفكك 4- التمكن من التنظيم ذاتياً ومن الدفاع الذاتي " (موران، 2018، صفحة 43)، بناءً على هذه الاقتراحات التي أقحمها موران لمواجهة الموت الذي يحمله النظام داخله نستخلص ذلك الحيط الهادئ الذي حدده لتأسيس إشكالية التضاد الذي راهن عليه في تحديد فكرة النظام، هو اعتماد التضاد والتكامل كقطبان حاسمان للنفس، بيد أنه يستوجب منا الإشارة هاهنا أن بنية التضاد يتوجب أن تبقى عند عتبة معينة بحيث يكون على صيغة موازية مع التكامل وأي تجاوز سيؤدي لحجب النظام وإضماره، إن قصد موران هنا من هذا الزوج المفهومي " التكامل التضاد " متوجه إلى الواقعين العياني والافتراضي مستعينا بمصطلحي الارتجاع السلبي والارتجاع الإيجابي، [الارتجاع السلبي ينجم عن تغير عنصر ما ويميل إلى إلغاء هذا التغير والارتجاع الإيجابي أي إمكانية انحراف يتضخم عبر التغذية الذاتية من نموه]،

ينطوي هذا الإقرار على دلالة مهمة، فهو يبيّن من الفحص أن النظام بحمله هذه الثنائية التي تحافظ على قوامه، والطريف في هذا السياق توافقها مع المثل " الأشياء تُعرف بأضدادها "، فاحتواء التضاد يؤسس للقوام السليم، إن المطلوب قد صار بذلك واضحاً، لقد عبرنا انطلاقاً من فكرة التضاد من المستوى النظامي للمستوى السيرياني (ضبط اتزان داخلي)، فالمستوى الانتروبي عكسي (إعادة تنظيم مستمرة، نحو تركيب)، للظواهر التاريخية الاجتماعية، إن خطة موران تتمثل في تبيان التركيب يقول " لا يعني المصطلح هنا فقط التعقيد النظري في التفاعلات والعلاقات المتبادلة، بل يعني أن العلاقات المتبادلة تحمل ضمنها مبدأ التركيب النظري والمنطقي بما أنه يجب النظر بالتوازي إلى التنظيم واختلال التنظيم وإلى التكامل والتضاد بين التنظيم واختلال التنظيم لا تعبر عن نفسها إلا في المجتمعات التاريخية " (موران، 2018، صفحة 48) فهذا التلقّ صوب العلم والتقنية ليس مفاجئاً لفيلسوف باشلاري.

شرح موران في تبيان حقيقة أن النظم الاجتماعية الحديثة هي بحد ذاتها مدمجة (هي ليست نظم بل تشابك لنظم)، والعلاقات بين الأفراد المجموعات، الطبقات، الإثنيات، متأرجحة بين أنشطة وأخرى متضادة، وهذا مستوى أول يمكن أن يغذي الأزمة، وفي أثناء تحليله لها قدّم مستوى ثانٍ للأزمة يختص بالشق السيرياني حيث قوام النظام يقوم عبر التضاد ولعل التمثيل المقدم في هذا السبيل قول موران " في هذه المجتمعات تصبح بعض الإرتجاجات الإيجابية كالنمو الاقتصادي، معدلات اجتماعية تخفف التوترات داخل المجتمع مع بقائها على عدة مستويات إرتجاجات إيجابية مكونة مصادر اضطرابات ومن ثم مكونة لأزمة " (موران، 2018، صفحة 50) إن علينا أن نفرس هذا الموقف، حيث لا يهمنا أن نحلل توجه موران صوب تغلغل الأزمة في المجتمعات بقدر ما يُهمنا اضطلاعه بهذه المهمة انطلاقاً من السياق السيرياني، من هنا يمكن أن نستأنف مسار التحليل للأزمة وتبلورها، إن اضطلاع موران لبيان ماهية الأزمة كان من التآرجحات المعقدة بين إرتجاجات إيجابية كعوامل النمو والتطور وإرتجاجات معاكسة، وكخلاصة: فمقصود موران "الذي ذلّل لنا مفهوم الأزمة" كان الوصول إلى أن كل ازدياد في التذبذب وكل انسداد وتأخير وكل قصور في الضبط يمكن أن يستحيل عامل أزمة ينجر عنه تفكك تسلسلي، هذا المستوى الثاني الذي قدمه موران لقوام المفهوم وسنشرع هاهنا في تحليل الشق الثالث والأخير.

وعمد موران إلى استحضار مستوى ثالث، لتكتمل الخطوط العامة لمقامات الأزمة وترتبط بالمستوى الانتروبي العكسي، والإشكالية المركزية التي يستوجب استبصارها هنا هي إعادة التنظيم المستمرة المنبثقة أساساً باختلال النظام، وهذا الانشقاق الضروري والحيوي والقاتل بتعبير موران للفوضى داخل التنظيمات الانتروبية العكسية " إن نظاماً كهذه لا يمكن أن تستمر إلا بوجود تبادلات مع المحيط (تبادل المادة والطاقة، تبادل التنظيم والمعلومات) تكون بذلك خاضعة للتقلبات البيئية وللاضطرابات الظاهرية الآتية من العالم الخارجي، فهي إذن تحمل داخلها الفوضى والتقلب وتنتجها لجهة استهلاك الطاقة الذي يزيد الانتروبي وتأخذها من الخارج، إن نظاماً كهذه لا يمكن أن تستمر؛ أي أن تكتب الفوضى وتستوعبها وتستخدمها إلا بفضل مبدأ تنظيم ذاتي يتضمن جهازاً مولداً (الشفرة الوراثية) وجهازاً ظاهرياً " (موران، 2018، صفحة 51) هذه النظم مرتبطة بالمحيط عبر ذاتيته واستقلالته النسبية، لهذا عبر عن هكذا نظم أن لها سمة إعادة تنظيم ذاتية بيئية، ونظم كهذه وانطلاقاً من اضطرابات داخلية وخارجية فهي التي تظهر فيها هذه الظواهر المركبة المسماة أزمات، والمستوى الانتروبي العكسي لا يغذي الأزمة بل يُظهرها.

2- المكونات الأساسية التي تكوّن الأزمة:

بعد أن كشفنا عن فحوى الأزمة وضروب تحققها وذلك بضرب من الإسهاب كمحاولة منا لتجذير المفهوم بحيث يمكن أن نحصى كلمات ثلاث تعبر عن فلسفة موران حول الأزمة: النظام، الاضطراب، التكامل، ومن الجدير بنا أن ننبه أنّ موران أحصى عشر مكونات تقبع في الأزمة، وغرض موران هاهنا هو محاولة الانطلاق من تلك التحليلات التي اقتبسها سواء من العلوم التقنية والتكنولوجية والمعلوماتية بصفته منغمس فيها وكذا من العلوم الإنسانية وكذا الأنثروبولوجية، ورسمه مقعد ثالث بين المعرفتين، وإنه ليجدر بنا أن نشير إلى هذا العلم الثالث وتبوءه لهذا الكرسي الذي كرسه بصدد تحقيق معرفة حقيقية لا تقصي أحد، نحن نلاحظ خطط موران في إرساء مكونات للأزمة قد قامت على الدمج بين مختلف العلوم، إنه من الخلق بنا أن ننوه إلى التقسيم الذي ارتأيناه في سبيل توضيح معنى موران فهو مفتاح ممكن لفتح الجمع المتوَعّر للمكونات العشر التي قدمها موران لمفهوم الأزمة وصياغته لها، والفائدة المنهجية من هذا التحليل الذي ارتأيناه هي من صميم قرائتنا لمشروع موران، والمتمثل في محاولته بناء علم ثالث يلم بثمل العلوم التقنية من جهة والعلوم العقلية والفلسفية والأنثروبولوجية، فالأزمة التي تغلغت في كلا العلمين لم تكشف إلا عن جزء يسير من تمفصله الداخلي [مشروعه الفكري]، ولتذليل الفكرة قدّمنا مكونات تنتمي إلى حقل التقنية أو تقف على حدودها ومكونات سنسب لوضعها في سياق العلوم الإبداعية العقلية، هذا التقسيم محاولة منا تندرج في بسط الأرضية الملائمة التي تقوم عليها الأزمة، وغرضنا هاهنا هو تحديد بيت القصيد والشروع في تأسيس تمثّلات أرست لها العلوم المختلفة في عملية تكوّن وتشكّل الأزمة،

2-1 مكونات تنتمي إلى العلوم التقنية: ومن أجل أن غرضنا هو تعقّب التحليل الموراني لمسألة الأزمة، نعثر على نهوض موران على العلم التقني الحديث، فارتأينا أن ندرج المكونات الثلاثة الأولى في هذا الفصل وهي: فكرة الاضطراب، ازدياد الفوضى وغياب اليقين، تعطل-تحرير، ونحن غرضنا أن نأتي على تفصيل هذه المكونات، ولعل انقطاع فيزياء الكم كان مسلكاً واضح المعالم اهتدى إليه موران لاستخلاص هذه المكونات، ومرام موران هو ارتسام الطريق ذاته الذي يسلكه الإلكترون محققا الاضطراب والفوضى وغياب اليقين، وتعطيل بعض الأنظمة الفيزيائية وتحرير أخرى وهذا ينقلب إلى رصد معارف مغايرة، وجملة خصائص هذا الصنف من المعارف الذي يشتق من اللا يقين قوامه " الجسيمات على المستوى الذري، تختلف عن الأشياء الكبيرة الحجم، فالإلكترونات ضئيلة الحجم للغاية ولا تبدو عليها أي ملامح مميزة ما يجعلها متماثلة تماما، تقوم الإلكترونات بدوران من نوع ما على الرغم من عدم قدرتنا على تحديد ما يدور فيها بالضبط ومن الصفات المميزة أن كل إلكترون يدور بسرعة ذاتها بالضبط " (جيلمور، 2020، صفحة 12) وجه الطرافة هنا أن موران أسقط نتائج الفيزياء على فلسفته التي وسمها بالوحشية، واستعاض بها في تأسيس مشروعه، واشتغل على فكرة الاضطراب، ووجه القول أن الاضطراب انفطر شقين خارجي تتعدد مصادره كموسم سيء، اجتياح كارثة إنسانية أو طبيعية، وداخلي ينكشف بسبب الأول ويشكل اختلالا وظيفيا في شتى المسائل، لقد بات واضحا لنا أن كل نظام حي خاصة كل نظام اجتماعي يشتمل على فوضى "ما يعني أن جزء من الفوضى مكبوت ومصحح ومحول ومدمج، لكن الأزمة دائما هي تراجع الحتميات والاستقرار والقيود ضمن نظام ما، فهي إذا ودائما زيادة للفوضى ولغياب الاستقرار ولتغيّرات ينجّر عن هذا زيادة غياب اليقين وتراجع الحتميات ويجر تراجع للتوقعات ويدخل بمجمل النظام المتأثر بالأزمة مرحلة عشوائية حيث يوجد غياب يقين حول ما سيكون عليه في المستقبل القريب " (موران، 2018، صفحة 57) يتوضح عندما نفهم أن النظام يبقى مستقرا رغم الفوضى بيد أنه لو انزوى لمسار لا يستوعب أو لا يقدر على الأزمة فهنا الملمح سيتغير إلى انتشار اللا يقين وزيادة الفوضى عن المستوى المرغوب فيه؛ إن علينا أن ننبه هنا إلى مسألة غاية

الأهمية ونعني مسألة الاضطراب الناجم عن تفاقم أزمة ما سينجم عنه ضعف القدرة على التنبؤ والإفلات من رقبة الاستشراف الجيد والرؤية الواضحة للمستقبل، فكلما زادت مدة الأزمة تفاقمتم واضمحلت المجال الرؤية واستبصار الحلول يبدأ أن ذلك لا يمنع أن حلا وفرجا سلطويا لن يفرض أسسه كوسيلة للنهوض، واللافت للانتباه هو أن الاضطراب الحاصل وتزايد سيؤدي حتما إلى تصلب ما كان يشكل السلاسة والمرونة في النظام عبر وسائل الرد والضبط، يفترض موران أن هذا التصلب سيبله يفترع إلى نتيجتين واضحتين متلازمتين " الأزمة تعلن موتين: التفكك والعودة إلى فوضى العناصر المكونة من جهة، والتبسس الموت في النظام بمعنى إيجابي لكن هذا التعطل لوسائل إعادة التنظيم (صفحة 58) علينا أن نأخذ هنا معنى الموت في النظام بمعنى إيجابي لكن هذا التعطل لوسائل إعادة التنظيم يسمح بفتح المجال أمام الإمكانيات والوقائع المكبوحة، والتعطل التنظيمي يعني رفع القيود على المكونات، هذه المكونات الثلاث التي استتبت منها موران بقية المكونات منطلقا من الفكر المركب الذي اعتمده وتبناه لاستخلاص مشروعه الفكري وجاءت بقية المكونات كما يلي:

2-2- المكونات التي تنتمي إلى العلوم الإبداعية والعقلية: يمكن أن نعتبر أن موران قطع شوطا هاما لما حدد المكونات الثلاثة التي افترضنا أنها مقتبسة من العلوم التقنية، وهذا مفصل مهم يلقي نورا جديدا تماما على مشكلة الأزمة وثم الضرورة للم شمل بقية المكونات، فلو حددنا في المكون الرابع تحرير وتطوير إرتجاعات إيجابية التي بها تؤدي دورا حاسما في تضخم الانحراف وتظهر تطور الإرتجاعات الإيجابية في مقال موران " التحول السريع لانحراف ما إلى نزعة مضادة أو نزعة معاكسة، مظاهر نمو أو تراجع مفرطة، أو غير مناسبة لعنصر أو عامل معين، عمليات سريعة تتميز بالجنوح ومن الممكن أن تنشر بصفة هائلة تفككا تسلسليا" (موران، 2018، صفحة 61) إن تصور موران للتضاد تخضع في المكون الخامس وانصرف إلى تبيان أن التعارض الافتراضي سيغدو واضح على خلاف التكامل الواضح الذي سيصبح افتراضي، إن هذه العمليات جد معقدة بقدر ما تكون الأزمة عميقة ومتسارعة تتكون تحالفات مؤقتة وعشوائية، إن مقصد موران هو إيضاح وجه الصعوبة للأزمة من حيث أنها لا تتقوّم والسبب لا يقبع في النزاع الداخلي، بل للطبيعة الإزدیادية للنزاع في كسر مستمر للحدود قد تؤدي إلى حروب دموية واضمحلال أشكال الأمن والسلام، هنا تتيح للباحث التعرف على مكونات الأزمة يبدأ أنها لا توفر تقنية تحليلية، فكل أزمة تمتشق على حدا وتعالج وفقا لخصائصها، في المكون السابع يعترف موران أن الأزمة تقيم تواشج على مستوى هيئات التحكم والضبط (السلطة)، وتقعدها في مأزق مزدوج، فمن جهة مسعاها عدم وجود اضطراب يخل بالنظام ، ومن جهة مغايرة لا يمكن أن تقمعه، ووجه الطرافة أن الأزمة تمس كلا الطرفين السلطة والمطالبين، ومن شأنها تعريض متطلباتهم للمخاطر، رب مكونات تجعلنا نتفنن في طرق الاستقصاء والبحث لاستعادة النظام، مما قد يفتح أمامنا وسائل نهوض سواء تقنية أو سياسية فهنا يكمن مرام المكون الثامن الذي أقره موران، ففتح السبيل أمام عمليات إعادة التنظيم تفتح مقومات البحث، هذا الانفتاح أمام عمليات التحري يلاحظ تشبث موران بالشكل الميثولوجي للمعرفة كأحد السبل التي قد تقوّم الأزمة، وهو غير مفجئ لمفكر على شاكلة موران في مقاله " الأزمة مأخذ البحث عن حل مظاهر سحرية وأسطورية تظهر العمليات السحرية بالتزامن مع الأنشطة الفكرية النقدية، فنحن نبحت عن عزل الشعور بالذنب وتصفية الشر عبر التضحية بالمذنب " (موران، 2018، صفحة 67) من الذي يحدد الأزمة؟ سؤال اقترناه لإرساء المكون الأخير الذي قدّمه موران جدلنة كل هذه المكونات، زعم موران أن الأزمة تتحدد عبر جدلنة هذه العناصر، فالأزمة مفهوم أثري من الاضطراب والتكامل فهي تعبر عن تعطل وتحرر، فالإبانة عن مفهوم الجدل يأتي كملخص لما سبق ذكره، ونستأنف فكرة الجدل هنا في

المشروع الموراني والمقتبسة من الفكر الهيجلي وحتى هيرقليطس كما لمح في كتابه " فلاسفتي 2011 "، والذي أخذه وأسدى له دورا هاما في مشروعه التركيبي متممًا الحوارية، بهذا بلغنا إلى المعنى.

3- إسقاطات الأزمة، أو تغلغل الأزمة في الأنظمة الفكرية المعاصرة:

لقد وقفنا في المبحثين الأولين على توضيح الأزمة التي أشار إليها موران أنها زيادة الإضطراب وغياب المعنى، ومن أجل التوفر على استبصار دقيق لنمط وجود الأزمة، اضطلع موران بالبحث عن مكوناتها وبنيتها المؤثرة لها، وغرض موران هو اعتبار الأزمة هي الأمانة الصريحة على مرحلة التحول من نظام معرفي إلى نظام مختلف، وغرضنا في هذا المبحث إبراز أصالة موران في توضيح ماهية الأزمة بالإبانة على تأزم الوضع الفكري المعاصر بإقامة صيغة موازية للتأزم وهو تأسيس علم الأزمات، في هذا المستوى فقط نستعين بفيلسوف ما بعد الحداثة الذي سبق الإشارة إليه " زيغمونت باومان"، لأجل إقامة محاكمة، وليس هدفنا استعاض موران بل تأصيل دلالة الأزمة عبر هذه المكاملة المعرفية فكيف تم إرساء الأزمة كعلم مستقل؟

3-1: تأزم القرن العشرين: نحو فهم ثقافة الأزمة: من البين أن الاكتشافات الجديدة جذّرت أسس معرفية في المشروع الموراني، بيد أن وجه الإعراض الذي قدمه موران كان إنقيار الحضارة الغربية في محيط الحروب " لكن لنفتح العين الأخرى فإننا سنرى قرنا احترق بنار أكبر حربين وقعتا في تاريخ الإنسانية... ولم تكون فقط قاتلتين ومبيدتين للشعوب، ولم تكونا فقط تدفق الممجية الخارجة من قلب الحضارة ذاتها شنتهما أمم تعد من أكثر الأمم تطورا في العالم وبخاصة بلد الشعر والموسيقى والفلسفة، هاتين الحربين حملتا معهما أزمات اجتماعية هائلة " (موران، 2009، صفحة 21) إنه ليس من الصدفة في شيء أن يسم موران القرن أنه قرن أزمة، إن الاستناد إلى خاصية المفهوم مكّنت من تيسير استعماله، فالمتصفح لمؤلفات موران يلفت نظره التزامه باستخدامه المكثف للفظلة الأزمة؛ فالأزمة مورد ومصدر يستقي منه موران إشكاليته وتعتبر وشيجة لهذا الغرض، ويجدر بنا الإشارة أن الأزمة أصبحت صفة راهنة تعبر عن واقع معيش، رب مفهوم تزداد خطورته بازدياد استعماله، أزمة التقدم، أزمة الحضارة، أزمة المراهقة، أزمة الزواج.... إن ما يحاول موران إرسائه هو التخلص من رواسب الإستعمال المفرط والانتصار على المفهوم العمومي، وغداة ذلك تمكّن موران من إنجاز تغيير جد مهم للمفهوم، مكّنه من استئلاله من جديد للتعبير عن صياغة مهمة عنه، بيد أنه يتعيّن علينا أن نوضح أن موران صاغ هذا المفهوم في مواضع تستلزم التفكير في مدى صلاحيتها عليها كأزمة كورونا.

يستعيد موران الحداثة وما ظفرت به من تقدّم، هذا التقدم الحامل لخاصية الأزمة " ففي ثنايا تطوره المتغيّر والمتسارع ينطوي تقدم الأمم على عمليات فك البنىات / وفساد اجتماعي واجتماعي ثقافي... إن التقدم غير منفصل عن عملية تخطيط وتغيير لهذا الأساس وهذا المجرى المنشئ للفساد أو إعادة بعث النظام وهو خاصية هذا البعد الأزماقي، وهكذا يبدو أن أزمة الحضارة فيما يخص المجتمعات الغربية وأزمة القيم، أزمة العائلة أزمة الدولة، أزمة الحياة هي جوانب متعددة لكيان مجتمعاتنا، وهي مجتمعات تهددها هذه الأزمة لكنها مجتمعات تتغذى منها" (موران، 2009، صفحة 25) حقيق بنا أن نذكر أن موران أسهم بنقد جاد للحداثة، حيث الوعود التي قدمتها قادتنا بنفسها إلى تأزمات، إذا قول موران أن الحداثة أضحت ضرب من ضروب الأزمة يستصغ لنا الإشارة إلى ما قدمه في مفتتح كتابه الفكر والمستقبل أن العقل أضحي أعمى، وهو المقابل الذي استمدّه لإقامة مناظرة مع روني ديكارت، فالحداثة أنتجت جهالات وشواش وعماء مصدرها قماء التنظيم المعرفي " غير قادرة على الاعتراف وعلى وضع اليد على تعقيد الواقع" (موران، 2004، صفحة

24) هذا التذكير ينكشف بمجرد إيضاح أن المناظرة مع ديكارت افتتحت بالإشارة إلى توهم ديكارت لإمكانية امتلاك الحقيقة ما أسقطه في الدغمائية، فنظام الحادثة إحتله اضطراب حاسم استبعد بذلك وعد الرفاه المنتظر والسعادة المنشودة والتحكم في الطبيعة، واستعاض بحروب مدمرة وأزمات إقتصادية وأزمات بيئية بدت بوادرها تتجلى بوضوح، هذه العوامل تجعلنا نبلغ مع موران إلى الإقرار أن الأزمة تعبير غاية الإقتزان بالقرن العشرين، هذه الوشيجة ليست وليدة فراغ، بل إبانة عن خطورة ما توصل إليه الإنسان والتقنية من شواش في تنظيم المعرفة وإبهام غير محمود في أسسها ما أسهم في تأصيل الأزمة وتغلغلها في النظم المعرفية.

إشترع بوردوني صيغة مقارنة لما قدمه موران وصرح أن الوعود التي صاغتها الحادثة تم سحبها، والوعد الأول الذي سحبته هو فكرة التنوير عن الأمن الذي كانت تكلفه إمكانية التحكم في الطبيعة، ذلك أن "اليقينيات الكبرى للتكنولوجيا القادرة على منع الكوارث انهارت أما الحقيقة التي مفادها أن الطبيعة لن يتم إخضاعها" (Bordoni, 2004, p. 55) لا يتعلق الأمر باجتهاد الإنسان لإخضاعها بل لعدم القدرة على التنبؤ بالكوارث البيئية الكامنة في الطبيعة، من ثم صار غير مبرر الإنعتاق من الطبيعة، ولعل وجه التمثيل الذي قدمه بوردوني في هذا السياق زلزال لشبونة عام 1755م، إنخرط الإنسان في عملية خطيرة غايتها الكشف عن أسرار الطبيعة، منطلقا من مقولة أحد مفتحي الحادثة فرنسيس بيكون في مطلع الجزء الثاني من موسوعة الإحياء العظيم الموسومة بالأورغانون الجديد " المعرفة قوة "

(Bacon, 2000, p. 33) بيد أن علماء الطوبولوجي والجيولوجيا تمكنوا من المجازفة بالقول أنه لا يمكن التنبؤ بالزلازل اليوم، ومن الوعود التي أنتجتها الحادثة الضامن الإجتماعي وقدمتها كأمانة لها عبر ضمانات العمل الحياتي ... وغيرها، ولأنه ليس إنسان اليوم ليس سوى آلة، سخط على الواقع الذي لا يغدو أن يكون أكثر من مسرح متأزم، لا يمكننا التحرر من الوعد الذي كرسه الحادثة والمتمثل في الحرية الإنسانية، ينهنا كارلو بودوني أن الوعود الحداثية ما هي إلا امتداد لوعود قطعها بيك ديلا ميراندولا، وعمل عكس كل الذين تحدثوا عن الحرية المنتظر تحقيقها على شاكلة ديكارت وكانط، كانت النتيجة اضمحلال هذه الحضارة في غياهب الحروب، فغياب اليقين استلزم ما بعد الحادثة سحب كل الوعود المقدمة من الحادثة، وطرح إشكالية موسومة بأزمة الحادثة، تجلت بوضوح اندماج النظرتين المورانية والمشاركة (بوردوني وباومان) لإيضاح دلالة واضحة لغاية أسمى وهي تدبير أكثر تنظيم للمعرفة في حالة ما بعد الحادثة، نلاحظ من كلا المقاربتان بعد فحص الحادثة إلى استحداث خلاصة أن الأزمة حالة تميز الراهن، ونبين أن مقصد موران الأسنى هو إثبات صفة الأزمة للراهن كقضية مشتركة تبلورت مع باومان وبوردوني.

3-2: نداء الديمقراطية بوصفها بنية لأزمة قائمة: كثيرا ما نثر في كتابات موران على تنبيهات حول الديمقراطية، هذا النشاط السياسي المتوارى خلف أسس سامية، وتعتبر ثمرة جهد مرير إشتريه اليونان وانكشف غداة الثورة الفرنسية بالأخص في الدول الناطقة باللغة الإنجليزية، "إن الأفكار والممارسات الديمقراطية الحديثة هي نتاج لتحوّلين كبيرين أولهما بلاد اليونان في القرن 5 ق.م وبدأ التحول الكبير الثاني الذي ورثناه بالحركة التدريجية لفكرة الديمقراطية لتبتعد عن موقعها التاريخي في دولة المدين لتلج عالم أوسع هو عالم الأمة ذلك في القرن 19" (دال، 2005، صفحة 360) نستحضر المعنى العام المتداول للديمقراطية وهو حكم الأغلبية، هذا الذي وسمه فرانك كانيغهام بـ "استبداد الأغلبية" (Cunningham, 2002، صفحة 16) في مؤلفه نظريات في الديمقراطية مقدمة نقدية بتناوله لأزمات الديمقراطية في الفصل الثاني، إن هذه التصورات لا تطال الديمقراطية بمعناها في القرن 21 بمنظور إدغار موران الذي عرّفها " الديمقراطية بصفتها نظاما يتم التحكم بالمواطنين، وفصل السلطات وتعددية الآراء وصراع الأفكار" (موران، 2009، صفحة 214) علينا أن نلاحظ في تعريف موران أن تصارع الأفكار في الديمقراطية بلسم، فالحاجة الفكرية التي يقدمها

المواطنين في شأن سياسي يسمح بتبلور الأفكار، وإضفاء صفة الحرية الفكرية التي يتحصل عليها الفرد مما يسمح له بتقدم الأصوات للمنتخبين، بيد أن هذا التصور في النهج لا يفيدنا بأكثر من هذا التنبيه، فما علينا إلا التوجه لكتاب "تربية المستقبل" لاستخلاص أزمة صارخة، كان علينا انتظار الفصل السابع الذي كان حاسماً في هذا الصدد، بيد أنه يتعين علينا ارتسام السبيل الموصل لهذه الأزمة بمنظور موران، من جهة سبق الإشارة إلى التقدم التقني الموهل الذي أودى بنا إلى تدمير المعرفة وتجزئتها وتشويهها، هذا التقدم العلمي أسفر عن تصويب المعرفة نحو طبقة سياسية معينة تحتكرها [وتجترح هذه المعرفة إن إقتضى الأمر لتحكمها في الوسائل الناجعة لذلك]، تعتمد هذه الطبقة إلى تنقيح المعرفة لتحديد قابليتها لتقديمها وتقريرها لغير المختصين "ثمة مشكلة كبرى ستواجه أكثر فأكثر ديمقراطيات القرن 21، ناتجة عن تطور العلم الذي أنتج العلم والعماء، فالتطورات الحاصلة في مختلف مجالات العلوم.. حملت معها سلبات التخصص الفائق وفصل وتجزئ المعرفة، هذه الأخيرة التي أصبحت نخوية لا يدركها إلا المتخصصون ومجوهلة الهوية إذ توجد متمركزة في أبنائك المعلومات تستعمل من طرف أجهزة مجهولة على رأسها الدولة" (موران، 2002، صفحة 102) هذه الإيضاحات ترسم لنا بوضوح أزمة الديمقراطية، إن الإقرار باتساع الهوة بين النخبويين والمواطنين يجعل موران يبلوغ هذا الحكم باستحضاره نماذج يتحكم فيها رئيس الجمهورية أو حاكم على سيادة قرارات بمؤسسات تؤلف بنية أساسية للمجتمع، هذا الإستحواذ على القرار يولج معنى الديمقراطية في أزمة عبر إقصاء المواطنين عن المجالات السياسية التي غدت محتكرة من طرف الخبراء في هيئات معينة.

إن علينا أن نوضح بأي وجه حملت الديمقراطية هذه الأزمة، يوازي موران بين سياقين للديمقراطية (1) - تقنين سيادة الشعب وتحولها إلى المنتخبين (2) - تقنين نفوذ الدولة عبر الفصل بين السلطات، إننا نستبصر هاهنا دلالات واضحة توارت خلف هاذين المستويين، يصف موران التحول السلس لسيادة المواطن إلى المنتخب ليعبر عن مرام الشعب عبر ما يدعى بالديمقراطية التمثيلية، إن الدور المنوط للمنتخب استدعت الانتقال من ديمقراطية تشاركية إلى تمثيلية، لتوفير التيسير في العملية الديمقراطية للمواطن في الدولة، والدلالة الثانية التي إرتأيناها في هذا القبيل هو فهم تناهي السلطات عبر فصلها، حيث هناك فاصل بين السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية، لعل الإبانة الواضحة عن هذا الفصل تكوّن بشكل واضح مع جان جاك روسو، إن غرض موران هو إرساء أفق المحدودية لكل سلطة، وإخضاع كل سلطة لسلطة ثانية، فنحن رأينا كيف حدّد دلالة الديمقراطية، لكن إذا غدت الديمقراطية تمثيلية ألا تشكل نخوية؟ لم يغفل موران هذا الطرح ويشير "تحتاج الديمقراطية بطبيعة الحال إلى توافق أغلب المواطنين واحترام القواعد الديمقراطية، لكنها تحتاج في نفس الوقت إلى التعددية وإلى أنواع من الصراعات" (موران، 2002، صفحة 101)، تجدر الإشارة وبقوة إلى أن الأنظمة التوتاليتارية بتعبير أرندت تنكش فيها الصراعات، وتكبح بذلك نضجها في مهدها كعملية إرتجاع سلمي، هذه الصياغة التي قدمها موران لم تكن إلا تهيئة للتعبير عن ديمقراطية تنافسية، تتصارع فيها الأفكار والأنظمة السياسية، هذا الإقرار هو ما قاد موران إلى تحليل الأزمة وتذليل الديمقراطية، فالوصول إلى أن الأنظمة الديمقراطية في مرحلة سياسية ما تستل القرار بعيداً عن الديمقراطية سواء تمثيلية أو تشاركية، جاعلة منه نخبويًا تختص فيه نخبة معينة تزدري فيه آراء المواطنين وحتى تمثيلهم أو حتى شخصية كقرار سياسي صادر عن رئيس دولة في حالة وجود أزمة ما أو حرب، بهذا التوضيح الذي حاولنا تقديمه رصدنا رؤية واضحة قدمها موران لأزمة الديمقراطية في القرن الحادي والعشرين التي شهدتها الدول التي تدّعي الديمقراطية.

إن الرهان الذي أقمناه بإدراج بوردوني وباومان في إبراز الأزمة إستوجبت إستحضاره أيضاً في السياق الديمقراطي، ينبه هاهنا بوردوني أن الأزمة هي الحالة الطبيعية للديمقراطية، فالتلميحات اللافتة وكذا الموزونة التي قدمها أبانت عن قمع تم

حجبه بتلك التلميحات الإيجابية التي تُعطى لها، إن بيت القصيد في الفهم العام للديمقراطية في مرحلة عند اليونان يجد صيغته الخاصة في توضيح أنها السيطرة على الشعب، فهنا إشارة أن حكم الأغلبية هي ديكتاتورية على الأقلية، من البين أن الممارسة الديمقراطية لم تكن حيز الإستعمال للكل، بل لفئات ذكورية يونانية نبيلة تقصي البقية، فهذه أزمة قديمة، أشار بوردوني إلى مرحلة تحولية قدمها الفيلسوف الفرنسي ألكسيس دي توكفيل Alexis de Tocqueville (1805-1859)، فالإحالة التالية "ولا بد من شكره على القول في المعنى الراهن لفكرة الديمقراطية فجعل لها معنى أوسع، معنى ذا طبيعة إجتماعية بحيث نشير إلى فكرة المساواة ونزعة نحو امتداد عام لمجموعة واحدة من الحقوق والواجبات، مساواة الحقوق أمام الدولة، ومعاملة متساوية أمام القانون فكانت هذه الديمقراطية تميل للحد من امتيازات النخبة وإعطاء كل إنسان الفرص نفسها" (بوردوني، 2014، صفحة 144) وهذا ما يشق المعنى الحقيقي لمفهوم الديمقراطية.

هذه الصيغة شقت طريقها في الولايات المتحدة الأمريكية بقوة، لكن الديمقراطية في الأزمنة الحديثة اتخذت أشكالاً جديدة، ولعل الإشارة إلى الديمقراطية التمثيلية هو أحد الأنماط التي تم صياغتها كنمط تحتلجحه أزمة كما عبّر عنها روسو، "إن الإرادة العامة لا يمكن تمثيلها"، إن هذه الخلاصة التي إفترضها روسو عبّر عنها بوردوني كحقيقة بالتالي فإن التفريق السالف بين حاضر وماضي الديمقراطية يوصلنا إلى نتيجة خطيرة وهي عدم وجود أنظمة ديمقراطية سليمة ففي هذا السياق حدّد بوردوني مطّبات الديمقراطية فبعد الحرب العالمية الثانية إستلهمت الأنظمة السياسية كلمة الديمقراطية وتبنت أسسها لإبعاد نفسها عن الماضي الأسود الذي إحتلج المواطن، ويميز بوردوني بين ديمقراطية مأزومة راهنة وديمقراطية كانت في ماضيها أزمة، فالأزمة هي الرهان الذي إقتنع به لوصف ماهية الديمقراطية بين ماضيها وحاضرها.

3-3- نحو استشكال أكثر جذرية لأزمة الإنسانية، وإنشاق الكوكبية: بعد بسط مسألة الديمقراطية كان موران حريصاً على الإشارة لهشاشة الديمقراطية كما بيّن في كتابه السبيل، الملفت للإنتباه في الكتاب هو تبني موران الطبيعة المركّبة للديمقراطية والبيروقراطية "إن أزمة الديمقراطية تشكل تربة خصبة للديكتاتوريات، لكن لحسن الحظ تشكل أزمة الديكتاتوريات أرض خصبة للديمقراطية" (موران، 2019، صفحة 95) يلتزم موران بالمنهج التركيبي الذي تبناه وكان لب مشروعه الفكري ويعبّر عن الصرامة الفكرية التي عرّف بها موران الأشكال المعرفية المختلفة والمتناقضة، والتي يمكن الجمع بينها عبر حوارية بين المتضادات والإنقضاظ على الإشارات الإيجابية لكل منها، وينكشف المشروع الموراني متى ما نُظر إليه في شكله الإنساني بوسمه آخر الفلاسفة الإنسانيين بامتياز، فأى مشروع إنساني يزقه إلينا موران؟ لا ينبغي أن نظن أن أي مشروع إنساني لا ينقك من عنق الطوباوية التي هوى فيها فلاسفة التنوير، فالإبانة عنه عبر مؤلفه الذي صرّح فيه عن أزمة الإنسانية "نحو سياسة حضارية"، فالمقعد الذي تبوءه موران هاهنا هو يسار الحداثة على شاكلة فلاسفة مدرسة فرانكفورت فعلى هذا الأساس يمكن أن نعتبر أن مشروعه كان إصلاحياً.

- إن إِبصار وجه التواشج بين التقنية وأزمة الإنسانية يستلزم إقامة عودة لوجه التأصيل الذي جمعهما، بالتحديد إلى روسو الذي قعد للإئتلاف بينهما في "خطاب في العلوم والفنون"، هذا الخطاب بات متبلور وبشدة في القرنين 20 و 21 وهو ما يبرر أزمة الإنسانية المعاصرة، رب أزمة ألفتنا موران يقول "هكذا فالتقنية هي ما يسمح بإخضاع الطاقات الطبيعية، لكنها أيضاً هي ما يسمح بإخضاع البشر لمنطق حتمي ميكانيكي، إنها تُفرض في قطاعات من الحياة الإنسانية يزداد اتساعها تُحل التعايش المجهول محل تواصل شخص مع شخص آخر تضر بمبدأ الموانسة" (موران، 2010، صفحة 13) السياسة الحضارية هي عملية إصلاح سياسية للأزمات التي إفترضتها التقنية، حاول موران تعقّب تغوّها وسيطرتها على الحياة الإنسانية.

إن قصدنا إبراز مدى تعقّب موران لتغلغل التقنية، وخاصة إستناده على السياسة الحضارية لرصد ملامح تحدّر البربرية التي تجلّت في المتن الموراني، نحن نعلم باهتمام موران الحاد بهذا الشق من المسائل الإنسانية، والذي انبثق منذ سبعينات القرن المنصرم، لنقر أنه لا يمكن إنكار أن جل الفلاسفة في هذه المرحلة قد طفقوا يحترفون هذا الشق من الفلسفة لعدة أسباب منها، كرد فعل على البنيوية التي انتصرت للعلم على حساب الإنسان، فموضع التعقيد هاهنا اختلال المكانة المركزية التي كُرسَت للإنسان بعد تنامي التقنية، ويمكن الإشارة إلى الكتابات التي انبثقت في هذا الشأن بأنها تعبر عن أمراض الحضارة، هذه الحضارة التي صُمتت بشكل يقودنا إلى تخلف ثقافي، عاطفي وإنساني، إن الإبانة عن هذه الأزمة أنتجت علاقات إنسانية غاية الخطورة في ضوء هذه الفكرة يمكن إفترض أن الكتابات التي تبناها موران لهذا الصدد، من أجل الخروج من القرن العشرين (1984)، بدء جديد (1991)، الأرض، الوطن (1996) كوكب الأرض المغامرة المجهولة (1997)، عنف العالم (2003)، الأرض تابعة للإنسان الذي هو تابع لها (2007)، إلى أين يسير العالم (2007)، هل نسير إلى الهاوية (2007)، روح العصر إختبار الثقافة الجماهيرية (2008)، السنة الأولى من العصر الكوكبي، هذا الكم إنما ينطوي على تعبير صارخ عن الأزمة الإنسانية التي غدت ثاوية في نحر التقنية، بيد أنه استوجب التنبيه أن هذه المؤلفات لم تعبر عن منعطف فكري موراني، بل استمرارية فكرية لصيغ فكرية منوّعة إستنبطها موران من تأثره بشقّ المعارف، وصاغها في قالب تحت مجهر التعقيد. ، لنخلص مع موران أن الإنسانية من بين مُفترسات الأزمة التي فتكت بها، كما اجتاحت بقية المعارف، ففي هذا السياق الدقيق ينبغي أن نضع موران موضع مساءلة، كيف لتأزم المسائل الفكرية أن نبني ورائها علم للأزمة؟ وهذا ما ينبغي الإضاحه عليه في النقطة الرابعة حسب منظور موران.

4- مولد الأزمة كعلم، الإطلاق الفعلي للإشتغال عليها كمبحث معرفي:

-غرضنا هنا التقصي عن مشهد حاسم من توضيح موران للإشتغال في بناء صيغة علمية جديدة، وهو مطلب يأخذ في ظاهره شكل التبرير لدلالة الأزمة وإمكانية قيامها كعلم، كما تنكشف عن إمكانية تغلغلها في الأطر المعرفية اللازمة لذلك، ففي عمقها الأكثر تعقيدا فهي تتواشج بشكل سلس مع الأنظمة المعرفية كما تعبر عن إضطراباتها بصرامة، إنه من أجل أن غرضنا ليس شرح كتاب في مفهوم الأزمة برمتها، بل إنتخاب وتوضيح بعض الغايات التي اعتبرها موران مواضيع تستوجب الإشارة إليها، كونها تمتلك مواضيع تماس مع مباحثات فكرية لا متناهية، ما يسهم في تأسيسها كعلم يستوجب دراسته والتحديق فيه، فالمرام من هذا المبحث هو تهيئة مشهد واضح لقيام الأزمة، فالرؤية باتت واضحة أكثر للقارئ، فالمتصفح للكتاب ما يلبث أن يتفطن لمراد موران ومسارعه في المحاولة لتشييد هذا الصرح المعرفي الجديد فكيف تم صياغته إذا؟

4-1- بذرة العلم، نحو إنجاس جديد: إن الإقرار الذي قدّمه موران في مختتم كتابه "إننا نؤمن بإمكانية وجدوى علم الأزمات وهو يجب أن يتضمن طريقة ملاحظة شبه سريرية تكون بذاتها مرتبطة بأخلاقيات، فمراكز الأزمات لا يجب أن تكون فقط طبية بل تشمل جميع المجالات، دور الثقافات يجب أن تكون مراكز أزمات وليس أماكن عروض، لكن طريقة الملاحظة والتدخل يجب أن يكون مرتبطة بنظرية" (موران، 2018، صفحة 77) يدرّ علينا بإيضاح إمكانية قيام هذا الشطر المعرفي، يمكن إستصاغة هذا الإقرار للدلالة عن الحالة العامة التي تستحوذ على مختلف المنظومات المعرفية، إن ما يوحد الأزمة بتعبير موران هي أنها نمط وجود، تدل هذه الإبانة أنها مقترنة حتى بما نضطلع به فنحن نتغذى منها، فالأزمة أحد المكونات التي تحوينا ولا يمكن الإستغناء عنها.

لا يجب أن نظن أن خطة موران مجرد ترف فكري أو أسلوب فكري إستعطا في لتوضيح كينونتنا، بل أنه وضع اليد السليمة على الجرح في تحريج معنى الأزمة، ومن جهة ثانية فموران لم يقدّم مجرد لغوي للفظة يونانية قديمة؛ فنحن نلاحظ

أنه استحضرها من خلال مكونات وعناصر فكرية مركبة يستدل بها من العلوم المعاصرة، ينبّه موران إلى ضرورة تبيان أن الأزمة يستوجب تخريجها من مراكز التشخيص الطبي وتعميمها، إن قصده هو بيان أن الأزمة بغدوها نمط وجود لها كينونتها استأنفت بعدا آخر ستقدمه لدور الثقافة عبر العروض فبدلا من أن تقدم عروض ترفيهية لتسلية المجتمع - قد تسهم في اغترابه أكثر - تقدم حلولاً أصيلة لأزمات الحياة العائلات إن هذا التحليل ليس سوى بيّنة لضرورة تأزم الأزمة؛ إن المقصود بهذا التعبير هي ضرورة تعقيد المفهوم، فهي غدت معّمة يسهل الظفر بها من الإنسان العادي، فحقيق بنا في هذا السياق فحص الكلمة وإعطائها أفق مفهومي خاص، تجعل من عملية استعماله عسيرة ومعقدة، بيد أنها من جانب مشترك وكصيغة موازية ستغدو عملية توظيفها تعبّر عن واقع يسوده الإضطراب وغياب اليقين، بهذا سيكون للأزمة وزن مفهومي لا يستقي من التعميم الذي غدا تعتيما، فهنا حقّ لنا التساؤل هل كل إستعمال للفظّة الأزمة تعبر حقا عن أزمة من حيث طبيعة الإستخدام؟؛ فكيف ستعبّر دير الثقافة عن أزمة؟ إن التنبيه الذي قدّمه في بداية الكتاب بأن الأزمة هي إضطراب وغياب يقين؛ أي أنّ استكشاف أزمة إنسانية صارخة تستوجب عملية وعي عميقة، فهذا التشخيص الاجتماعي سيقودنا إلى وعي الأزمة وبالتالي عملية تقويمها على افتراض أن هذا التنقيح والتسديد سيكون على أرضية مستحدثة وهي دور الثقافة، إن هذه الرؤية التي قدمها موران اتكأ فيها على ماركس وفرويد "في الواقع يمكننا أن نفهم بطريقة أفضل الحُدس الماركسي والحُدس الفرويدي، اللذين تكون الأزمة وفقهما في الوقت

نفسه كاشفا وفعالا، إذ نرى أن الأزمة كيف تظهر ما كان مخفيا وكامنا وافتراضيا داخل (المجتمع والفرد)، التصادات الأساسية والتصدعات الزلزالية والمسار الغامض للوقائع الجديدة وفي الوقت نفسه تسلط الأزمة الضوء على الجانب المغمور من التنظيم الاجتماعي وحول قدرته على البقاء والتحول، وهي هنا تعتبر أمرا فعالا، فهي تفعل كل ما يمكن أن يأتي بتطوّر" (موران، في مفهوم الأزمة، 2018، صفحة 78) وهنا طفق يذود عن الإنسان من تصلب الأزمة، لأجل ذلك قدّم كتاب في أواخر عام 2016 "عن الجماليات"، أقام فيه سبيلا لاستدراك سقوط الإنسان في مطبات الأزمة، وهو كتاب جمعه من محاورات قدمها عن الجمال والفن وشعور الجمالي بصفته عالم اجتماع وفيلسوف مهتما بالجماليات فيخبرنا أنه منذ طفولته كطفل يتيم كان يهرب من قسوة العالم بفضل الأعمال الرفيعة لجميع الفنون كرواية "الجريمة والعقاب" لدستوفسكي و "السيمفونية التاسعة" لبيتهوفن هنا نستصغ توجّه موران إلى الجماليات (موران، 2019) والذي غدا مقترن به بالأخص في سنوات متأخرة بتورطه المستمر في هذه المباحث، وهذا من شأنه أن يعطي نورا جديدا، فأزمة المجتمع القابعة في نسيج الرأسمالية، وأزمة الفرد المتمحورة حول الكبت، وهنا نعثر على رسم واضح المعالم للأزمة باعتبارها كيان.

- علينا فهم أن المقصود ليس بناء علم على شاكلة علم الفيزيس أو علم الرياضة، بل علم متغلغل في العلوم كما هو حال المنطق، فالمرام البعيد الذي قدّمه موران للأزمة هو تبيان مدى اضطراب ولا يقينية نظام ما مفتوحا كان أم مغلق، بهذا الشكل نقف عند طبيعة الأزمة فهذا الجهد الذي صرفناه لبيان التوجه الذي يقترحه موران في توضيحه للمفهوم كان تحسيسا منا لتأزم الوضع وينم على توافقنا التام معه ولفحص هذا الطرح نمهد بالسؤال التالي: كيف يمكن استبصار أزمة داخل نظام معرفي؟

4-2- الجماليات كمقام لاكتشاف الأزمة: إن ترسيم الأزمة بوصفها علم يطرح صعوبة عامة تتمثل في كيفية تمثيلها وتعقلها في العلوم، إن وجه الجدة عند موران هو نقل تشخيص الأزمة من غواش الطب إلى انفتاحية دور الثقافة والمسرح كانت دعوة موران في تجاوز آهات الإنسانية عبر ضرب من التحرير صاغها في تعلم العيش بحكمة وشعيرة، الجماليات باختلاف مناهلها (الأدب، الرواية، الشعر، المسرح...)، كلها مضارب لمنبت واحد، نحن نعثر هنا على تأثير واضح

بالرسم المعرفي الكانطي لمسألة الشعور الجمالي، فالقدرة على الحياة شعريا مرام صاغه موران لتحرير العقل من برائن الاختزال، ويقر بضرورة العيش بشكل شاعري بتفتح على الحياة ويشدد على الانغماس في هذه الشاعرية والمروق من حياة النثر التي أنتجها العقل المختزل الذي أنتجته الحداثة؛ علينا أن نضع في عين الاعتبار أن الأكل لسد الحاجة هو نثر في الحياة، أما فن الطهي هو إضفاء قيمة غذائية على الأكل هو في سياق الشاعرية، إن معنى الانتقال من مقام النثر إلى مقام الشعر في الحياة هاهنا معناه استبصار الحياة وإضفاء الشاعرية عليها، فالفرق الناتج عن تحول من مقام إلى آخر يتمخض عن إنسانية مضمحلة ظهرت إلى كينونتها، في هذا الصدد بات مفروضا علينا إدماج موران في حقل فلسفي جديد وهو الرومانسية المتجذرة في عمق الطرح الفلسفي الشعوري، هذا الولوج ليس غريب عن فيلسوف إنساني يستلذ الفنون والشاعرية ومهتم بضروب الثقافة، فكان لزاما عليه التعبير عن فيض من المشاعر ففيها إنقاذ للإنسانية من الواقع الصناعي المتوَعّر الذي نحرها.

4-2-1 أزمة الفنون: إن الغرض هاهنا إقامة أساس لموران في التعبير عن مأزق الفنون، يشير موران إلى أن ولوج الأعمال الفنية إلى عالم السوق يغور عليها بتحول الأعمال الفنية إلى سلعة ما قد يؤول إلى طمسها وفقدان قيمتها، ثم ولوج الفنانين إلى عالم (غير المختصين وغير المثقفين) الميسورين فتبددت معايير الجمال المعتبرة التي كانت تُقام على الأعمال الفنية، فغدا عمل الرسام على سبيل التمثيل يقوم على اقتصاد السوق والتاجر الحاذق المضطلع بالسوق "فالتاجر هو من ينتقي الرسام وفقا لما يعتقد أنه ذوق المشتريين إذا كان ذا بصيرة فسيكتشف موهبة غير معروفة وسينجح في جعلها مشهورة، وعلى هذا النحو تمكن هواة المستبصرون من الحصول على أعمال مجهولة أو غير معروفة لسيزان وفان غوغ وبيكاسو وغيرهم ممن انتقلوا من الجهل إلى المجد ومن العوز إلى الثروة" (موران، 2019، صفحة 35) وعلى هذا القياس تقاس الرواية التي تقف على رهان الناشر والفيلم على المنتج، والخلاصة أن الفن في صراع دائم مع من يعينه ويعيقه، الربح، وهذه الجدلية هاهنا تسيح عن فكرة معتبرة وهي أن السوق طغى على الأعمال الفنية الراهنة فهذا التوضيح على قدر عال من الأهمية تتجلى في تبصر سياق الأزمة التي تلج كل النظم المعرفية، فالإشارات التي تم تناولها الحداثة، الديمقراطية، الإنسانية، تغلغلت فيها الأزمة ما تسبب في انكماشها، إنه من اجل الوقوف على هذا التسرب الأزمي والاقتران بالنظم المعرفية عمد موران لإقامة هذا العلم وهذا الانكباب الملاحظ ينم على صرامة الوضع وخطورة ما يحصل في النظم المعرفية، وإقامة هذه الصيغة العلمية الجديدة يسهم في استشراف الأزمة ما يؤدي إلى الوقاية فنخلص هاهنا إلى أن الأزمة كرهان لاستشراف مستقبل النظم المعرفية.

خاتمة:

لقد افترضنا في هذه المقالة أنه ثمة إمكانية قيام علوم جديدة على شاكلة - علم الأزمات - تكون تحليلية تتسرب في النظم المعرفية تكشف عن ضروب: الاضطراب واللا يقين والانكماش، التي تتسبب في تعطل الآلة التفكيرية في هذه النظم، وتشغل كمشغل لضبط المعرفة في نظام ما، كما تشرع في الكشف عن المطبات التي قد تسقط فيها هذه النظم، كرهان استشرافي وقائي، رهن موران على الأزمة لهذا الصدد إعادة بعث العلوم في هذا السياق يستوجب قراءة متأنية لمختلف النظم المعرفية فالمتعجل سيصادر بحكم اكتمال العلوم وعدم فرضية إمكانية قيام معارف جديدة، وهذا ما لم يسقط فيه موران، فصيغة العلم المراد قيامه يختلف عن العلوم التقنية كالفيزيس (له موضوع، ينطلق من مسلمات، امتلاك منهج معرفي، وصول لنتائج ثابتة)، بل البقاء في مدينة التأمل ووضع اليد على الجروح قصد معالجتها قد نجد أوجه مقارنة مع مراد فلاسفة العلم كتوماس كوهن وباشلار، هذه الوضعية التي اتخذها موران قد تسهم في تبلور هذا

العلم فعلٌ هذه الأسس التي وضعها تكون حجر أساس لعلم يتبلور وسيظهر للعيان في قالب علمي متين ومستجد فيما هو قادم.

إن النتيجة الحاسمة التي فرضت نفسها في تحليلية موران للأزمة هو ضرورة الانفلات من الاستعمال العمومي للمفهوم بكونه ضرب من اللايقين، فها هنا يستصعب لنا التشديد مع موران على ضرورة تقييد تعميمها الذي بات تعميماً على المفهوم وتقليص لمهامه المرسومة له، فالأزمة يتوضّح أنها تتشكّل لغرض الحفاظ على بنية النظام سواء كان مغلقاً كخلية، آلة، إنسان... أو مفتوحاً كمحيط، مجتمع.... فموران رسم صورة موازية للنظرة التي تشكلت عن الأزمة بكونها اضطراب يستهدف ضرب النظم، فغدت تؤسس مع موران النظام وتحافظ على استقراره، وتجمع بين التناقضات، فالأزمة التي تغلّغت في النظم المعرفية والتي قدمنا لها نماذج: الحداثة والديمقراطية والإنسانية، بات من الوجوب التعامل معها بشكل يتيح لنا التعرف معها على اضطرابات تلك النظم، وبذلك يتسنى لنا الخوض في مشاكسة معرفية الغرض منها التكشيف الجيد عن تلك المطبّات ورسم السياق اللازم لتطبيّتها، بات اللايقين يتبوأ مقعد السلطة في النظم اليوم فكان ذلك يشكّل منطلق موران لبلورة الحدود الممكنة للتعرف عليها وكانت النتيجة النهائية التي خلصنا إليها مع موران: الأزمة نمط وجود يمكن التعايش معه، يمكن أن تتغلغل في النظم المعرفية لغرض التطبيق وليس الهدم كما أوضح ذلك.

- قائمة المراجع:

باللسان العربي:

- 1- إدغار موران، إلى أين يسير العالم، تر: أحمد العلمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، السعودية، 2009، ط1
- 2- إدغار موران، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، تر: أحمد القصور ومنير الحجاجي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2004، ط1
- 3- إدغار موران، في مفهوم الأزمة، تر بديع أبو ليلي، دار الساقى، بيروت، 2018،
- 4- إدغار موران، تربية المستقبل المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، تر: عزيز لزرق ومنير الحجوجي، دار توبقال للنشر ومنشورات اليونيسكو، الدار البيضاء باريس، 2002، ط1
- 5- إدغار موران، السبيل لأجل مستقبل البشرية، تر: بشير البعزوي، منشورات الجمل، بيروت، 2019، ط1
- 6- إدغار موران، نحو سياسة حضارية، تر: أحمد العلمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010، ط1
- 7- إدغار موران ان بريجيت كيرن، الأرض الوطن، تر: سلمى ديجن، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2022،
- 8- إدغار موران، في الجماليات: تر يوسف تيسس، وزارة الثقافة والرياضة، قطر، 2019، دط
- 9- زيجمونت بومان وكارلو بوردوني، حالة الأزمة، تر: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2018، ط1،
- 10- زيجمونت باومان، عن هشاشة الروابط الإنسانية، تر: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2016، ط1.
- 11- محمود بري، السيبرنيطيق، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، 2019، ط1
- 12- عادل مصطفى، صوت الأعماق، مؤسسة هندواي، القاهرة، 2020،
- 13- جيمس غليك، نظرية الفوضى: تر أحمد مغربي، دار الساقى، الكويت، 2008، ط1،

- 14- روبرت جيلمور، أليس في بلاد الكم، تر: أحمد سمير سعد، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2020
- 15- روبرت دال، الديمقراطية ونقادها، تر: سمير عباس مظفر، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2005، ط2

-باللسان الأجنبي:

- 1- Francis Bacon, The new organon edited by Lisa Jardine, Cambridge university press, New York, 2000, T1
- 2-Frank Cunningham, Theories of democracy A critical introduction, routledge press, london and New York, 2002
- 3- Zygmunt Bauman and Carlo Bordoni , state of crisis, polity press, USA, 2014, t 1